تراث الإسلام

حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها

مصطفى السقا
الأستاذ بكلية الآداب
جامعة القاهرة

إبراهيم الأبياري
مدير إدارة إحياء
التراث القديم

عبد الحفيظ شلبي
مدير المكتبات الفرعية
بدار الكتب المصرية

الطبعة الثانية

١٣٧٥ هـ = ١٩٥٥ م

ملتزم الطبع والنشر
شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

لو كان أحْجارى مع الأجْداف[1]

يريد : الأجداث . وهذا البيت فى أرجوزة له . وبيت أبى طالب فى قصيدة له ، سأذكرها إن شاء الله فى موضعها .

قال ابن هشام : وحدثنى أبو عُبيدة أن العرب تقول : فمّ ، فى موضع ثُمَّ ، يبدلون الفاء من الثاء .

قال ابن إسحاق : وحدثنى وهب بن كَيْسان قال : قال عُبيد : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُجاور ذلك الشهرَ من كلّ سنةٍ ، يُطْعِم مَنْ جاءه من المساكين ، فإذا قضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم جواره من شهره ذلك ، كان أوّلُ ما يبدأ به ، إذا انصرف من جواره ، الكعبةَ ، قبل أن يدخل بيتَه ، فيطوف بها سَبْعًا أو ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته ، حتى إذا كان الشهرُ الذى أراد اللهُ تعالى به فيه ما أراد من كرامته ، من السَّنَة التى بعثه اللهُ تعالى فيها ؛ وذلك الشهر (شهر)[2] رمضان ، خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى حِراء ، كما كان يخرج لِجواره ومعه أهلُه ، حتى إذا كانت الليلةُ التى أكرمه اللهُ فيها برسالته ، ورَحِم العبادَ بها ، جاءه جبريلُ عليه السلام بأمر الله تعالى . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فجاءنى جبريلُ ، وأنا نائم ، بنَمَط[3] من ديباج فيه كتابٌ[4] ، فقال اقرأ ؛ قال : قلت : ما أقرأ[5] ؟ قال : فغتّنى[6] به حتى ظننتُ أنه الموت ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ ؛ قال : قلت : ما أقرأ ؟ قال : فغتّنى به حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلنى ، فقال : اقرأ ؛ قال : قلت : ماذا أقرأ ؟ قال : فغتّنى به حتى ظننتُ أنه

---

(١) فى هذا الشعر شاهد ورد على ابن جنى حيث زعم أن « جدف » بالفاء لا يجمع على أجداف (راجع الروض وانظر ديوان رؤبة طبعة ليبسج ص ١٠٠ وفيه أحجار) .

(٢) زيادة عن ا .

(٣) النمط : وعاء كالسفط .

(٤) قال بعض المفسرين : فى قوله تعالى : « ألم ذلك الكتاب لاريب فيه » إنها إشارة إلى الكتاب الذى جاء به جبريل حين قال له : اقرأ . (راجع الروض) .

(٥) كذا فى الأصول والطبرى وفى شرح المواهب : « ما أنا بقارىء » . يريد أن حكى كسائر الناس من أن حصول القراءة إنما هو بالتعلم ، وعدمها بعدمه .

(٦) كذا فى الأصول والطبرى . والغت : حبس النفس . وفى المواهب : « فغطنى » . وهى بمعنى غت .

الموت ، ثم أرسلني [١] ، فقال : اقرأ ؛ قال : فقلت : ماذا أقرأ ؟ ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود لى بمثل ما صنع بى ؛ فقال : « اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » . قال : فقرأتها ثم انتهى فانصرف عنى وهببتُ من [٢] نومى ، فكأنما كتبتْ فى قلبى كتابا . قال : فخرجتُ حتى إذا كنتُ فى وسط من الجبل سمعت صوتا من السماء يقول : يا محمد ، أنت رسولُ الله وأنا جبريلُ ؛ قال : فرفعت رأسى إلى السماء أنظرُ ، فإذا جبريلُ فى صورة رجل صافَّ قدَمَيْه فى أفق السماء يقول : يا محمد ، أنت رسولُ الله وأنا جبريل . قال : فوقفت أنظر إليه فما أتقدّم وما أتأخّر ، وجعلت أصْرِف وجهى عنه فى آفاق السماء ، قال : فلا أنظر فى ناحية منها إلا رأيتُه كذلك ، فما زلتُ واقفا ما أتقدّم أمامى وما أرجع ورائى حتى بَعَثتْ خديجةُ رُسلَها فى طلبى ، فبلغوا أعلى مكة ورجعوا إليها وأنا واقف فى مكانى ذلك ؛ ثم انصرف عنى .

(رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص على خديجة ما كان من أمر جبريل معه) :

وانصرفتُ راجعا إلى أهلى حتى أتيتُ خديجةَ فجلست إلى فخذها مُضيفا [٣] إليها : فقالت : يا أبا القاسم ، أين كنتَ ؟ فوالله لقد بعثت رُسلى فى طلبك حتى بلغوا مكة

---

(١) لعل الحكمة فى تكرير : « اقرأ » الإشارة إلى انحصار الإيمان الذى ينشأ عنه الوحى بسببه فى ثلاث : القول ، والعمل ، والنية . وأن الوحى يشتمل على ثلاث : التوحيد . والأحكام . والقصص . (راجع شرح المواهب) .

(٢) قال السهيلى : « قال فى الحديث : فأتانى وأنا نائم ؛ وقال فى آخره : فهببت من نومى ، فكأنما كتبت فى قلبى كتابا . وليس ذكر النوم فى حديث عائشة ولا غيرها ، بل فى حديث عروة ما يدل ظاهره على أن نزول جبريل حين نزل بسورة « اقرأ » كان فى اليقظة ، لأنها قالت فى أول الحديث : أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة ، كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب إليه الخلاء . . . إلى قولها : حتى جاءه الحق ، وهو بغار حراء ، فجاءه جبريل . فذكرت فى هذا الحديث أن الرؤيا كانت قبل نزول جبريل على النبى عليه الصلاة والسلام بالقرآن ، وقد يمكن الجمع بين الحديثين بأن النبى صلى الله عليه وسلم جاءه جبريل فى المنام قبل أن يأتيه فى اليقظة . توطئة وتيسيرا عليه . ورفقا به : لأن أمر النبوة عظيم ، وعبئها ثقيل ، والبشر ضعيف » .

(٣) مضيفا : ملتصقا ، يقال : أضفت إلى الرجل ، إذا ملت نحوه ولصقت به ؛ ومنه سمى الضيف ضيفا .